إضاءات مفيدة مع بداية السنة الجديدة

2022-07-29

الْحَمْدُ للهِ ذي القُدْرَةِ النَّافِذَةِ، وَالحِكْمَةِ البَالِغَةِ، جَعَلَ فِي تَعَاقُبِ الأَيَّامِ ذِكْرَى، وَفِي مُرُورِهَا وَانْقِضَائِهَا عِبَرًا، حَثَّنَا عَلَى اغتِنَامِ الأَوقَاتِ، وَالإعتِبَارِ بِالأَيَّامِ المَاضِيَاتِ، وَنَهَانَا عَنِ الأَسَى عَلَى مَا فَاتَ، فسبحانه من إله جَعَلَ فِي انْقِضَاءِ الأَيَّامِ حَافِزًا لأَرْبَابِ الهِمَمِ، وَفِي تَصَرُّمِ الأَعْوَامِ ذِكْرَى نَافِعَةً لِبنَاءِ الأَفْرَادِ وَالأُمَمِ، وَأَشْهَدُ أَن لاَّ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، اصطفانا واجتبانا وجعلنا مسلمين، وتفضّل علينا فأعطانا وِسام الخيرية فجعلنا خير أمّة أخرجت للناس أجمعين، ووعدنا في الدنيا إن تقلّدنا هديه وتابعنا رسوله بالخير والهُدى والتمكين، وفي الآخرة بأن نكون من السعداء الفائزين، وأشهَدُ أَنَّ سيِّدَنا مُحمّداً عَبدُهُ ورَسولُهُ، وصفيّه مِنْ خَلْقه وخليله. وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا ونبيَّنَا مُحَمَّداً عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، وصفِيُّهُ مِنْ خلْقِهِ وخليلُهُ، خَيْرُ مَنْ هَاجَرَ إِلَى رَبِّهِ وَامتَثَلَ، وَدَعَا إِلَى هَجْرِ المَعَاصِي وَالآثَامِ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ، القَائِلُ:((خَيْرُكُمْ مَنْ طَالَ عُمُرُهُ وَحَسُنَ عَمَلُهُ))، خَاطَبَهُ مَولاهُ بِقَولِهِ:((وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ)).

هذا الحبيبُ الهاشميُّ شفيعُنا * يومَ الحسابِ ومَوْقِفِ الخسرانِ
هذا المكرَّمُ والمعظَّمُ قَدْرُهُ * هذا الدليلُ لجنّة الرضوانِ
هذا الذي ساد الورى وعليه قد * صلّى إلهُ العرش في الفرقانِ
صلّوا عليه وارفَعوا أصواتَكُمْ * تُعْطُوا الثوابَ وجنّةَ الرِّضوانِ

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسلِّمْ وَبَارِكْ على سيّدنا محمد. الهادي إلى طريق الخير والرشاد. وعلى آله الأئمّة الزهّاد. وصحابته السادة الأمجاد. صلاة تستر بها عوراتنا بين العباد. وتصلح لنا بها الأزواج والأولاد. وتكفّ بها عنّا يد أهل الظلم والفساد. وتجيرنا بها من شرّ البغاة والحسّاد. بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين. يا ربّ العالمين. **أمّا بعد:** فيا أيّها المسلمون. ها نحن قد ودَّعَنا عامًا هجريًّا مضى وتولَّى، ولم يبقَ منه إلا ذِكرى ما تبدَّى فيه من الخير وتجلَّى، فنسألُ اللهَ عزَّ وجلَّ أَنْ يَجْعَلَ هذا العَامَ الجديد عام خَيْرٍ

وَصَلاَحٍ، وَزَمَنَ تَوْفِيقٍ وَفَلاَحٍ، وأنْ يجعلَ أيّامَهُ أيامَ سعدٍ وهناءٍ. وسلامٍ وصفاءٍ. وخيرٍ ورخاءٍ. تعمُّ فيهِ الخيراتُ والبركاتُ. علَى بلدِنَا خاصّةً. وعلَى جميعِ بلادِ المسلمينَ عامَّةً. فِي مشارقِ الأرضِ ومغاربِهَا، حتَّى تعيشَ الإنسانيةُ كلُّهَا فِي سرورٍ وسعادةٍ. وخيرٍ وبركةٍ. ومن الأدعية الجليلة المشروعة مع دخول الشَّهر أو السَّنَة ما ثَبَتَ من رواية الطبراني في المعجم الأوسط. وأبي القاسم البغوي في معجم الصحابة. والحافظ ابنِ حجر العَسْقَلاني في الإصابة في تمييز الصَّحابة. عن الصَّحابي الجليل عبد الله بن هشام بن زُهرة القُرَشِي التَّيْمِي رضي الله عنهما. أنَّه قال:((كَانَ أَصحَابُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ يَتَعَلَّمُونَ هَذَا الدُّعَاءَ كَمَا يَتَعَلَّمُونَ القُرآنَ إِذَا دَخَلَ الشَّهرُ أَو السَّنَةُ: اللَّهُمَّ أَدخِلهُ عَلَينَا بِالأَمنِ وَالإِيمَانِ، وَالسَّلَامَةِ وَالإِسلَامِ، وَجِوَارٍ مِنَ الشَّيطَانِ، وَرِضوَانٍ مِنَ الرَّحمَنِ)). ومعنى (وَجِوَارٍ مِنَ الشَّيطَانِ). أيْ: أمانٌ، ومنَعةٌ، ووقايةٌ، وحمايةٌ, من الشيطان. أيّها المسلمون. وفي مطلَع عامِنا الجديد. جعلَه الله بارِقةَ نصرٍ وعزٍّ وتمكينٍ. يَحْسُن التنبيه على ما يحمل إلينا من ذكريات ومناسبات، كلها تستحق التنبيه إليها والوقوف عندها لنتعلّم منها. فَفِي بِدَايَتِهِ نَسْتَذْكِرُ هِجْرَةَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم مِنْ مَكَّةَ الْمُكَرَّمَةِ، إِلَى الْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ، نتذكّرها في رأس السنة الهجرية ليس لأنّ الهجرة وقعت في شهر محرّم كما يعتقد البعض، بل لأنّ شهر محرّم هو بداية عام هجري جديد. أمّا الهجرة فإنّما وقعت في شهر ربيع الأوّل. الشهر الثالث من السنة الهجرية. والهجرة حدثٌ جلل. ونقطة تحوّل هامّة في تاريخ الإنسانية عامّة، بها تحوّل الإسلام من مضطهَد في مكة إلى حاكِم في المدينة، بها أَسّس رسول الله صلى الله عليه وسلم أوّل دولة في الإسلام؛ فهي الهجرة التي تحمل في طيّاتها معاني الشجاعة والتضحية والفداء، ومعاني النصر والصبر والإيباء، ومعاني التوكّل والقوّة والإخاء، ومعاني الإعتزاز بالله وحده مهما بلغ كَيْد الأعداء، وهي مدرسة تربوية عظيمة، أستاذها سيّدنا محمد رسول الله. صلى الله عليه وسلم، وحارسها العام جبريل عليه السلام،

ومديرها الله سبحانه وتعالى، وتلامذتها أمّة الإسلام، أيّها المسلمون. إِذْ الهجرة النبوية حملَتْ فِي معانِيهَا سِمَاتِ التجديدِ والبناءِ، وكانَتِ النواةَ لِمُجتمعٍ جديدٍ مِعْطاءٍ، قائمٍ علَى أصْلٍ ثابِتٍ مِنَ الإيمانِ باللهِ تعالَى، يقولُ اللهُ عزَّ وجلَّ فِي سورة الحشر وَاصِفًا ذلكَ المجتمعِ المتلاحِمِ المتماسِكِ:((وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلاَ يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ)). فالهجرةُ حَدَثٌ مَلِيءٌ بِالدلالاتِ والْعِبَرِ، تَسْتَرْعِي التأمُّلَ والنظَرَ، وتقوّي العزائمَ، وتشحذُ الهمَمَ، ويتعلَّمُ منْهَا المسلمُ كيفَ يصوغُ حياتَهُ علَى أساسٍ مِنَ المبادِئِ والْقِيَمِ، ولِهذَا اختارَهَا الصحابةُ الكرامُ رضوانُ اللهِ عليهِمْ حَدَثًا يُؤرِّخُونَ بهِ، وفضَّلُوهَا علَى غيرِهَا مِنَ الأحداثِ العِظَامِ، كَيْ يرتبطَ الإنسانُ بِهَا علَى مدارِ السنينَ والأعوامِ، أيّها المسلمون.
ومعنَى الهجرةِ متجدِّدٌ، فالمسلمُ يُهاجرُ بنفسِهِ وروحِهِ وجوارِحِهِ مِنَ الجهْلِ إلَى العلْمِ، ومِنْ صُحبةِ الأشرارِ إلَى صحبةِ الأخيارِ، ومِنْ مساوئِ الأخلاقِ إلَى مكارمِهَا، ومِنَ الكسلِ إلَى العمَلِ الجادِّ الْمُثمرِ، ومِنَ التفرُّقِ إلَى الإتّحادِ، ومِنَ التّنازُعِ إلَى التّآلُفِ، ومِنَ اتّباعِ الشّهواتِ والأهواءِ. إلَى كُلِّ القِيَمِ التِي جاءَتْ بِهَا تعاليمُ الإسلامِ الغراءُ، فهيَ ليستْ مجرّدَ نُقْلَةٍ مِنْ مكانٍ إلَى آخرَ. بلْ أرادَهَا النبيُّ صلى الله عليه وسلم أنْ تكونَ مُلازمةً للإنسانِ، إذْ هِيَ نُقْلَةٌ نوعيةٌ وحركةُ تغييرٍ يحقِّقُهَا الإنسانُ فِي ذاتِهِ باستمرارٍ. يقولُ اللهُ تعالَى في سورة الرعد:((إِنَّ اللَّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ)). وأخرج الإمام مسلم في صحيحه عن أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه، أَنَّ أَعْرَابِيًّا سَأَلَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الْهِجْرَةِ، فَقَالَ:((وَيْحَكَ! إِنَّ شَأْنَ الْهِجْرَةِ لَشَدِيدٌ، فَهَلْ لَكَ مِنْ إِبِلٍ؟ قَالَ: نَعَمْ! قَالَ: فَهَلْ تُؤْتِي صَدَقَتَهَا؟ قَالَ: نَعَمْ! قَالَ: فَاعْمَلْ مِنْ وَرَاءِ الْبِحَارِ، فَإِنَّ اللهَ لَنْ يَتِرَكَ مِنْ عَمَلِكَ شَيْئًا)). قال الإمام النووي في شرحه على صحيح مسلم: وَالْمُرَادُ بِالْهِجْرَةِ الَّتِي سَأَلَ عَنْهَا هَذَا الأَعْرَابِيُّ؛ مُلازَمَةُ الْمَدِينَةِ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَتَرْكُ أَهْلِهِ وَوَطَنِهِ، فَخَافَ عَلَيْهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ

عَلَيْهِ وسلم أن لا يَقْوَى لَهَا، وَلا يَقُومَ بِحُقُوقِهَا، وَأَنْ يَنْكُصَ عَلَى عَقِبَيْهِ، فَقَالَ لَهُ: إِنَّ شَأْنَ الْهِجْرَةِ الَّتِي سَأَلْتَ عَنْهَا لَشَدِيدٌ، وَلَكِنِ اعْمَلْ بِالْخَيْرِ فِي وَطَنِكَ، وَحَيْثُ مَا كُنْتَ، فَهُوَ يَنْفَعُكَ، ولا يُنْقِصُك اللَّهُ مِنْهُ شَيْئًا، وَاللَّهُ أَعْلَمُ. أيّها المسلمون. ومن الإضاآت المفيدة مع بداية السنة الجديدة: إخراج الزكاة؛ لأنّ كثيرا من الناس في هذه الأيام يخرجون زكاة أموالهم، ليس لأنّها مرتبطة برأس السنة أو بعاشوراء كما يعتقد البعض؛ بل الزكاة مرتبطة بتمام السنة في أيِّ شهر كان، ولكن لمّا كان أجدادنا يبدؤون تجارتهم في رأس السنة بقيت الزكاة مرتبطة بها، والزكاة هي ركن من أركان الإسلام، سمّاها القرآن الكريم طهارة، فقَالَ اللهُ تَعَالَى في سورة التوبة:((خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَواتِكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ))، فهي تُطهِّرُ المُزَكِّي مِنَ الذُّنُوبِ، وتُطهِّرُهُ مِنَ الشُّحِّ والبُخْلِ، فَتَزْكُو نَفْسُهُ وتَعِفُّ يَدُهُ وتَسْخَى رُوحُهُ، ويُصْبِحُ مِقْداماً في الخَيْرِ مُقْبِلاً عَلَيْهِ بِطِيبِ نَفْسٍ، كما تُطهِّر الفقراء من أمراض الفقر والحرمان من بُغْض الأغنياء، وحسدهم، والحقد عليهم، والعمل على إيذائهم، والسطو على ممتلكاتهم. وبأداء الزكاة تَشِيع المحبّة والمودّة في المجتمع، وتعلو راية التراحم والتعاون والتعاطف بين أفراده؛ فتكثر فيه البركات، وتتنزّل عليه الرحمات، وصدق الله العظيم إذ يقول في سورة النور:((وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ))، فبالزكاة يُنزل الله عزّ وجلّ على الناس سكينته، ويُسبغ عليهم نعمته، ويَنشر رحمته؛ قال سبحانه في سورة الأعراف:((وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ)). أيّها المسلمون. وفي مطلَع عامِنا الجديد. يَحْسُن التذكير في أن يكون لنا منهجٌ رشيد. وخطوات مدروسة فيما يتعيّن علينا فِعْله، لا بُدَّ أن نعيشَ الأملَ والتفاؤُلَ بالخير؛ فمع أنَّ أمَّتنا الإسلامية لا تزالُ رهينةَ المآسِي والنَّكَبات، والشَّتات والمُلِمَّات، فلا ينبغي أن يحمِلَ ذلك على الإحباط واليأسُ، لذا نهانا عنه الله تعالى. فقال سبحانه في سورة يوسف:((وَلَا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ

اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ)). وقال في سورة الحِجْر:((وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ)). فالتفاؤل يقوّي العزائم، ويبعث على الجِدّ، ويعين على الظفر، وفي الحديث الذي رواه الإمام أحمد عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، قَالَ:((كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَفَاءَلُ وَلا يَتَطَيَّرُ. وَيُعْجِبُهُ الاسْمَ الْحَسَنَ)). بل ذهب عليه الصلاة والسلام إلى أبعد من ذلك. ففي صحيح مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:((إِذَا قَالَ الرَّجُلُ هَلَكَ النَّاسُ فَهُوَ أَهْلَكُهُمْ)). كانت نظرته عليه الصلاة والسلام للمستقبل نظرة تفاؤل، نظرة تبعث الأمل في النفوس، أيّها المسلمون. تفاءَلوا بالخير تجِدوه، واستفتِحوا عامَكم بمُحاسبةٍ جادَّةٍ صادقةٍ، وتوبةٍ نَصوحٍ من الزلاَّت والسيئات، وداوِموا على الأعمال الصالحات، وأكثِروا من القُرُبات والطاعات، وسجِّلوا في صحائِف عامِكم هذا ما يسُرُّكم في دُنياكم وأُخراكم، قال تعالى في سورة غافر:((يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ)). وابدأوا رحمكم الله مع بداية العامِ بالجدِّ والإجتِهاد، والتفاؤُل بالنَّصرِ والأمجادِ، والمغانِم الفِراد؛ فغوالِي الأماني لا تُدرَكُ بالتوانِي، يقول سيّدنا عبدُ الله بن الزُّبير رضي الله عنهما: (مَن جاء يطلُبُ ما عند الله فإنّ طالبَ الله لا يخيبُ)، فصدِّقُوا قولَكم بفعلٍ؛ فإن مِلاكَ القول الفِعلُ. ولْيَكُنِ الدُّعَاءُ، وَرَفْعُ أَكُفِّ الضَّرَاعَةِ إِلَى اللهِ، بِالقَبُولِ والغُفْرَانِ، والفَوْزِ والرِّضْوَانِ، خَيْرَ مَا نَستفتح بِهِ عامنا هذا، اللّهمّ أهلّ علينا هذا العام باليُمن والأمان. والسلامة والإسلام. والعفو والعافية والغفران. واجعله خيرا من عامنا الذي مضى. واسلك بنا مسالك اللّطف فيما جرى به القضا. اللَّهُمَّ اجْعَلْ يَوْمَنَا خَيْرًا مِنْ أَمْسِنَا، وَاجْعَلْ غَدَنَا خَيْرًا مِنْ يَوْمِنَا، وَأَحْسِنْ عَاقِبَتَنَا فِي الأُمُورِ كُلِّهَا. وأَعِدْ اللهمَّ عَلَيْنَا بالخَيْرِ وَالبَرَكاتِ ذكرَى هجرته صلى الله عليه وسلم. وَثَبِّتْنَا اللهمَّ علَى هَدْيِهِ وَطَرِيقَتِهِ. اللهم وتوفَّنا على ملّته، واحشرنا في زمرته، وأدخلنا في شفاعته، واسْقِنا من حوضه، فإنّك خير مسؤول. وأكرم مأمول. اللهم إيّاك نسأل فلا تخيّبنا. وببابك نقف فلا

تطردنا. وبنبيّك وحبيبك سيّدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم نتشفّع فاقبلنا. اللهم واجعل التقوى لنا أربح بضاعة، ولا تجعلنا في عامنا هذا من أهل التفريط والإضاعة. بجاه نبيّك صاحب الحوض والشفاعة. صلى الله عليه وسلم في كل لحظة وساعة. اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ، وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ، الأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالأَمْوَاتِ، إِنَّكَ سَمِيعٌ قَرِيبٌ مُجِيبُ الدَّعَوَاتِ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ، اللَّهُمَّ أَعِزَّ الإِسْلاَمَ وَالمُسْلِمِينَ، وَأَذِلَّ الْكُفْرَ وَالْكَافِرِينَ، وَأَرْغِمِ النِّفَاقَ وَالْمُنَافِقِينَ، وَانْصُرِ اللَّهُمَّ دِينَكَ وَكِتَابَكَ وَسُنَّةَ نَبِيِّكَ صلى الله عليه وسلم وَعِبَادَكَ الْمُؤْمِنِينَ. وَاجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِناً مُطْمَئِنًّا سَخَاءً رَخَاءً دَارَ عَدْلٍ وَإِيمَانٍ وَسَائِرَ بِلاَدِ الْمُسْلِمِينَ. اللهم أنت السلام ومنك السلام، سلِّمنا من كل بلاء. وارفع عنّا كل ابتلاء، ولا تُسْكِن في أجسامنا داء، فإنه لا يعلم بحالنا إلا أنت، ولا يجبر حالنا إلا أنت، فاجعل لنا من كل همّ فرجا، ومن كل ضيق مخرجاً، اللهم يا رب معجزة من عندك تغيِّر الأقدار، وتحقِّق الأماني. وتسعدنا بها يا رب العالمين. اللهم إنّا نسألك أن تعاملنا والمسلمين بعفوك ومعافاتك ومغفرتك؛ وأن تعيذنا من تفاقم الشرور والأسواء؛ وأن لا تؤاخذنا بما فعله السفهاء منّا؛ وأن ترحم ضَعفنا واعترافنا بخطايانا؛ متوجّهين إليك بأسمائك الحسنى وصفاتك العلى؛ ومتوسّلين إليك بحبيبك المصطفى. سيّدنا ومولانا محمد. صلى الله عليه وآله وسلم. وبآلِه وأصحابِه أهلِ بدرٍ وشهداءِ أُحُدٍ وأصحابِ بَيْعةِ الرضوانِ المقرَّبِين لديْك. بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين. يا رب العالمين. وآخِر دعوانا أنِ الحمد لله رب العالمين. اهـ